دور الأساقفة الأفارقة في تطوير الديانة المسيحية في شمال إفريقيا (تيرتوليانوس ودوناتوس أنموذجا 197-348)

The role of african bishops in the development of christianity in north africa (Tertullian and Donatus as examples, 197-348)



د/ فراح فازية*

جامعة مولود معمري ، تيزي وزو– الجزائر

fazia.farah@ummto.dz

تاريخ الارسال: 2026/03/04 تاريخ القبول: 2026/05/31 تاريخ النشر: 2026/06/10

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء حول بعض الشخصيات اللاهوتية التي اجتهدت واستطاعت ترقية وتطوير الفكر المسيحي في شمال إفريقيا، ويتعلق الأمر بكل من تيرتوليانوس(160-220م)، الذي يعدمن أوائل الذين كتبوا اللاهوت المسيحي باللاتينية، وأول من استعمل مصطلح الثالوث، كان صارما جدا أخلاقيا وطور اللاهوت المسيحي رغم خلافه مع الكنسية لاحقا، وأصبحت كتاباته مرجعا للنخبة الإفريقية اللاحقة أمثال كيبريانوس، القديس اوبطا الميلي وخاصة القديس أوغسطين، أما الشخصية الثانية فهو بالأسقف دوناتوس(270-355م) مؤسس الكنيسة الدوناتية الذي سار على نهج تيرتوليانوس فيما يخص تشدده الأخلاقي رافضا التساهل مع الخطاة الذين استسلموا للاضطهاد. مما جعله يشترط إعادة تعميد كل من انحرف عن مبادئ الكنيسة المسيحية المبكرة، ولم يقتصر دوره على الاهتمام بالمسائل الدينية بل مزج بين الكنيسة والسياسة. كلاهما شدد على النقاء الأخلاقي ونبذ الاضطهاد.

الكلمات المفتاحية: تيرتوليانوس، الأسقف دوناتوس، الديانة المسيحية، الفكر المسيحي، الكنيسة.

Abstract : This study aims to shed light on two theological figures who made significant efforts to advance and develop christian thoughts in North Africa:

The first one, Tertullianus (160-220AD) who is considered the first christian to produce and write on christian theology in latin, he was also the first to use the term Trinity,

He was rigorist and contributed to the development of christian theology despite his diffrences and conflict with the Church.

His writtings became a reference for African élite such as Cyprian, saint opatus of milevis and especially saint Augustin.

The second figure is the bishop Donuts (270-355 AD) founder of the donatist church, who followed Tertullian's approch regarding moral rigor, he rejected tolerance and leniency towards sinners who had yielded during persecution which led him to requière the rebaptism of those who had deviated from the Principles of early christian church.

His role was not limited to religious affairs he also combined between church and political issues.Both figures emphasized moral purity and rejection of persecution

Key concepts: Bishop Donatus, Christianity, Christian Thoughts, Church, Tertullianus.

*المؤلف المرسل: د/ فراح فازية

المقدمة:

عرفت الكنيسة الإفريقية خلال القرنيين الثالث والرابع ميلاديين بروز أسماء شخصيات دينية تركت بصمتها في تاريخ اللاهوت المسيحي الإفريقي ولها الدور في تشكيل وترقية الفكر الديني المسيحي، وعبدت الطريق ومسار الكنيسة الإفريقية، ومن أبرز هذه الشخصيات القديسين تيرتوليانوس ودوناتوس حيث عبر كل منهما عن سياق تاريخي اتسم بالاضطهاد والصراعات والانشقاقات الدينية، وعن رؤية صارمة لمفهوم الإيمان ونقاء الكنيسة، وان اختلفت منطلقاتهما ونتائج أفكارهما، فتيرتوليانوس سعى إلى تأسيس نموذج فكري لاهوتي لاتيني إفريقي للدفاع عن العقيدة المسيحية، أما دوناتوس سعى لتأسيس كنيسة إفريقية محضة لا تربطها أية علاقة بالسلطة السياسية التي تفننت في اضطهاد المسيحيين، بل كنسية ذات قداسة جماعية رافضة لأي تساهل مع الخطاة والمرتدين، ومن خلال دراسة هاتين الشخصيتين نحاول فهم تطور الفكر المسيحي في شمال إفريقيا .

أسباب ودوافع اختيار الموضوع:

كان للأساقفة الأفارقة دورا محوريا في نشر المسيحية ومبادئها حفاظا على التعاليم المسيحية الأصلية، على الرغم أنهما لم يتزامنا خلال حياتهما بل كان الفارق بين فترة حياة الأسقفين طويلة نسبيا قاربت قرن ونصف، إلا أن ما جمعهما كان هدف واحد، واستطاعوا بفضل مواقفهم واستماتتهم في الدفاع عنها فرض مصطلحات جديدة على الكنيسة ك (الثالوث) الذي صاغه تيرتوليانوس وضل يدافع عن المستضعفين من بطش السلطة الوثنية.

بعد اعتناق السلطة للمسيحية ظلت تمارس قمعها على الفقراء، تبنى الأسقف دوناتوس تيار دفاعي ووقف في وجه الكنيسة الرسمية التي كان همها الأكبر الدفاع عن مصالح السلطة الرومانية، حيث تحول دور الأسقف من راع روحي إلى قائد مجتمعي وسياسي في منطقة شمال إفريقيا التي تجلى فيها هذا التحول بوضوح.

فالهدف هو إبراز الدور الفكري لشخصيات افريقية في صياغة العقيدة واللاهوت اللاتيني عالميا، ونسلط الضوء على إسهاماتهم وتمسكهم بفلسفتهم في الدفاع عن المستضعفين أمام الأباطرة.

وتناولنا في المقال الإشكالية التالية:

إلى أي مدى ساهم أساقفة ومفكرو شمال إفريقيا في صياغة وتطوير الديانة المسيحية مع مراعاة خصوصيتها المحلية، وكيف عكس كل من تيرتوليانوس ودوناتوس هذا الدور بين التنظير الاهوتي والممارسة الواقعية؟.

للإجابة على هذه الإشكالية اعتمدت على المنهج الوصفي والتحليل التاريخي، فبوصف الأحداث التي سادت شمال إفريقيا في فترة الأسقفين، وردة فعل السلطة والإجراءات التي تبنتها ضدهما جراء أفكارهما المناهضة للوثنية والكنيسة الرسمية.

قسم البحث لمحورين أساسيين : الأول خاص بـ تيرتوليانوس حيث عرضت فيه لمحة عن حياته، أعماله في تطوير الفكر المسيحي ومواقفه في الدفاع عن وحدة الكنيسة الإفريقية، والمحور الثاني خصص لدوناتوس، عرضت مولد ونشأة الأسقف، دوره في نشر وتطوير الكنيسة الدوناتية، صراعه مع السلطة الرومانية والكنيسة الكاثوليكية، أهم المحطات الكبرى في حياته.

1- القديس تيرتوليانوس:

برز في شمال افريقيا خلال القرنين الثاني والثالث للميلاد حراكا فكريا استثنائيا جعل منها القاطرة الفكرية للمسيحية الغربية بأكملها ومن بين المفكرين برز تيرتوليانوس كشخصية محورية نقلت الفكر المسيحي من الفلسفة اليونانية الشرقية إلى فضاء فقه القانوني اللاتيني، استطاع من خلالها صياغة مفاهيم عقائدية غيرت مجرى التاريخ الكنسي.

1.1-لمحة حول شخصية تيرتليانوس(160-220م):

هو كوينتوس سبتيموس فلورانس تيرتوليانوس (Quintus Septimius Florens Tertullianus)،ولقب باسم: "تيرتوليانوس أفر"(Tertullianus Afer)، (جوليان، 1983، ص 258). نشأ في قرطاجة التي ولد فيها بين 155 و160م، ينحدر من عائلة وثنية، كان والده يشغل وظيفة رئيس سرية تابعة لفيلق مقاطعة البروقنصلية (حلاق ، 2024 / 2025 ص 281) درس الإغريقية واللاتينية وآدابهما ويتقنهما لغة وكتابة مثل مواطنه ابوليوس المادوري، كان من أشهر المؤلفين المسيحيين في قرطاج ويعتبر من أهم أباء الكنيسة اللاتينية، ألف في البداية بعض الأعمال باللغة اليونانية قبل ترجمتها إلى اللاتينية (Monceaux , 1902). مسيرته الدراسية لم تتوقف هنا بل درس أيضا الفلسفة والعلوم الطيبة والقانون، هذا الأخير الذي تفرغ له حتى أصبح محاميا لامعا سطع نجمه ليس فقط في إفريقيا بل حتى في روما التي قضى فيها أيام شبابه (بن ميس، 2010، ص 68). تميز بالزهد والشدة والتقشف (أسد، 2022، ص 207) اعتنق المسيحية التي اهتدى إليها قبل أن يلتحق بالطائفة المونتانية * واعتنق أفكارها. قيل انه أسس فرقة دينية روحية أطلق عليها اسم "التيرتوليانية "(رحمة، 1993 ص 51) ، التي نجح القديس أوغسطين في إدماجها في الكنيسة الكاثوليكية نهاية القرن الرابع ميلادي(Augustin saint,1869,LXXXVI).

1. 2 -أعمال ومساهمة تيرتوليانوس في تطوير الفكر الديني المسيحي:

لا تزال الأسباب التي دفعت تيرتوليانوس إلى اعتناق المسيحية بداية سنة 197 مجهولة، ولم يذكرها في مؤلفاته باستثناء بعض التلميحات مثل ما كتبه في كتابه ضد سكابولام "**ويضطر كل من يشاهد سبر هؤلاء العجيب أن يبدأ بالشك، فيرغب في معرفة حقيقة أمرهم، وفور اكتشاف هذه الحقيقة يعتنقها**" (أسد، 2022 ، ص 208) وهكذا بدأ رحلته في البحث عن الحقيقية التي تفرق بين

الوثني والمسيحي، ألف تيرتوليانوس أعمال لاهوتية مسيحية كثيرة باللاتينية، لا يمكن لأي مؤرخ الاستغناء عنها في دراسة اللاهوت الإفريقي ويمكن تقسيم مساهماته إلى ثلاث محاور أساسية:

المحور الأول: يتضمن هذا القسم مجموعة من الكتب الدفاعية التي تتصدر مؤلفاته وتناول فيها عدة قضايا أبرزها كتاب المنافخة الذي دافع فيه ونافح عن المسيحية والمسيحيين، ومن بينها نذكر كتاب (Apologeticum/Apologeticus) الذي تطرق فيه إلى الخلاف القائم بين الوثنيين واليهود والمسيحيين إلى جانب استنكاره للجرائم والاضطهاد الذي مس المسيحيين دون التحقيق في صحة التهم الموجهة إليهم، إذ سارعت الإمبراطورية إلى تسليط عليهم العقاب دون أي وجه حق بسبب نظرتها إلى المسيحيين أنهم أصحاب الفوضى وإثارة الفتن يهددون أمن وسلامة الإمبراطورية(جوليان، 1983، ص 261). يضاف إلى هذه المؤلفات الرسالة المفتوحة التي وجهها إلى الحاكم القرطاجي الروماني سكابولا(211-213م) من " (Ad Scapulam) سنة 212م (نشنش، 2010 ،ص171) ، وقد بلغ الاضطهاد ذروته في هذه الفترة ليسقط عددا من الشهداء في قرطاج بل امتد حتى إلى مقاطعات نوميديا وموريتانيا، ومن أبرز الشهداء المدعو مفيلوس« Mavilus» الذي اعدم بتاريخ 11 ماي 212م (Monceaux, TII, p46) وهذا وجه إنذارا إلى هذا الحاكم الظالم الذي تفنن في اضطهاد المسيحيين عن طريق رميهم للوحوش (تيرتيليانوس الإفريقي،2017، ص39) ، وقد قال في هذا السياق: **"ليس الإنسان ملزما باحترام شريعة ظالمة"** (جنيبير، 1993، ص167)، للإشارة أن تيرتوليانوس عاش جزءا من حياته في روما وقد استغل هذه الفرصة لدراسة والتعمق في القانون الروماني والاطلاع على مضامينه وحتى أنه ذكر اسمه في التجميعات القانونية للإمبراطور جستنيان(Flavius Petrus Sabbatius Justinianus) (رحمة،1993، ص16) .

كتاب ثالث توجه به إلى الأمة الوثنية (Ad Nationes) جاء في كتابين، الكتاب الأول دحض فيه القوانين التي سنتها السلطة السياسية الرومانية ضد المسيحيين وصفها بالظالمة والجائرة، وهذا يوضح لنا موقف تيرتوليانوس من السلطة حيث رفض السياسة التي انتهجتها الإمبراطورية للحد من انتشار الديانة المسيحية ليس فقط في شمال إفريقيا بل حتى في روما نفسها. أما الكتاب الثاني توجه به إلى الوثنيين وانتقد فيه المعتقدات الرومانية المبنية على تعدد الآلهة عند المجتمع الروماني بما في ذلك تأليه الإمبراطور، لينتهي بدعوتهم إلى اعتناق المسيحية (رحمة،1993، ص41). يضاف إليها مجموعة من الكتب كلها تتناول موضوع المنافخة عن المسيحية الكاثوليكية: إلى الشهداء (Ad Martras) ، شهادة حول الروح (De Testinmia Animae)، حول الصلاة (Ad oratione) .

المحور الثاني: وهو عبارة عن مجموعة من الكتب الجدلية نذكر منها في وصف الهراطقة (De Praescriptione Haeretcrum)، والذي رفض فيه كل المبتدعين والهراطقة مثل الغنوصيين* الغنوصية يقصد به "تيار فكري وفلسفي قديم مزج بين الدين والفلسفة وكان العدو الأكبر للكنيسة خلال القرون الأولى. لذلك رفضهم تيرتوليانوس ورأى أنهم ليس لديهم الحق في استخدم الكتاب المقدس لأنهم دخلاء

عليه وليس لهم سند ملكية تاريخي له"(Monceaux, TII,,304) الذين شن عليهم حملة طويلة وعنيفة، ليثبت بذلك أن الكنيسة هي الوحيدة التي تمتلك شرعية الكتب المقدسة (Monceaux, TII,,304) ، كما ألف كتابا ضد اليهود (Adversus Judaeos) (نشنش، 2010 ، ص 160/159).

المحور الثالث: عبارة عن كتب أخرى تتضمن الرسائل مثل "إلى زوجتي"(Ad Uxorem)، وهو كتاب خصصه للحديث عن المشكلات الأخلاقية الزوجية، وتطرق فيه إلى الزواج الثاني بعد الترمل والذي هاجمه ورفضه تيرتوليانوس (Tertulianus,1980, p34). وكتاب آخر بعنوان وشاح العذارى(De Uirginibus Velandis)، وآخر حول تاج الجندي(De Corona Militis) وبعض الإشارات إلى الكتب المفقودة.

في هذه الكتب كلها أوضح لنا تيرتوليانوس كيف حارب الهرطقات المنتشرة في زمانه على غرار الغنوصية التي رفضها في كتابه "ضد ماركيون"وعلى نهجه سار القديس اوغسطين بين القرنين الرابع والخامس ميلاديين أثناء الوقوف في وجه الهرطقات الدينية المنتشرة في عصره.

لتتوقف مهمة تيرتوليانوس عند محاربة الهراطقة بل ساهم في تأسيس مصطلحات لاهوتية كثيرة وجديدة على غرار (الثالوث" لوصف طبيعة الله، ومصطلح "الاقنوم «personas) التي عبر عنها باسم «Logos» (حلاق ، 2024 / 2025، ص 338) وكذلك مصطلح الجوهر" أو «Una substantia»حيث صاغ وحدة الجوهر في ثلاثة أقاليم،وهي قاعدة اعتمدت في المجمع المسكوني الأول الذي انعقد سنة 325 بارشليم لمحاربة بدعة اريوس. وفي قضية الاستشهاد يقول تيرتوليانوس " أن **دماء الشهداء هي بذار الكنيسة**" (روبيت، 1982 ،ص 138) وهذا عند تنديده بسياسة الأباطرة التي تورطت في سقوط ألاف الشهداء الأبرياء وهذه الاعتداءات حركت مشاعر تيرتوليانوس قائلا"**بالنهاية قسوتكم مهما تفننتم فيها وعددنا يتزايد بالقدر الذي تقطعون فيه رؤوسنا**" (تيرتوليانوس،دس ن ج2 ، ص138) ومبدأ الاستشهاد ستتبناه الكنيسة الدوناتية لاحقا من بين القواعد الأساسية لتميز نفسها عن الكنيسة الكاثوليكية. كما عرف تيرتوليانوس أيضا عن دفاعه الشرس عن الكتاب المقدس سواء العهد القديم أو العهد الجديد.

حرص تيرتوليانوس على دعوة المسيحيين إلى التمايز التام عن الوثنيين، عن طريق رفض مشاركتهم الألعاب الرومانية والتجنيد في الخدمة العسكرية لتي تتطلب تقديم النذور للأوثان.

1. 3 -موقف تيرتوليانوس من السلطة الرومانية :

عادة ما نجد تيرتوليانوس ينتقد سياسة الأباطرة الذين عاصرهم رافضا ومستنكرا الاضطهادات التي تلاحق الجماعة المسيحية، خاصة الاضطهادات التي شهدتها الولاية الإفريقية في عهد الإمبراطور سبتيموس سيفيروس(193-211)الذي أصدر مرسوما سنة 202م يدعو فيه إلى تحريم الدعاية المسيحية وضرب كل مسيحي بلا رحمة وارغامهم على العودة إلى الديانة الوثنية ،خاصة في عهد البروقنصل سكابولا تيلاتيلوس« Scapula Tertullus » (211-213) (عمران، 2010، ص 108). وقد خرج ترتوليانوس الذي لم يهضم هذه التصرفات قائلا " **لا تنفعكم شراستكم شيئا مع أنكم تزدادون براعة و إبداعا في التعبير**

عنها، إنها لمن الأمور التي تجذب الناس إلى جماعتنا ، كلما أمعنتم في قهرنا وسحقنا ازداد عددنا" (روبيت، 1982 ،ص 138) يقال أن تبني تيرتوليانوس للديانة المسيحية يعتبر من أكبر مظاهر المقاومة لروما ورفض سياستها الاضطهادية التي مارستها في شمال إفريقيا. وهكذا حذر تيرتوليانوس السلطات الإمبراطورية من خطورة استمرار سياسة الاضطهاد والتي تهدد بالقضاء على كافة سكان قرطاجة"(حلاق، 1982 ،ص 182) ومن جهة أخرى حاول أن يثبت لهم براءة المسيحيين قائلا **"المسيحي لا يخجل ابدأ ولا يندم أبدا وإذا كان هكذا لا يمكن أن يكون مسيحيا إطلاقا، فإذا ما أبلغ عنه وإذا ما أتهم،فانه يدافع عن نفسه، وإذا ما استجوب فانه يعترف بعقيدته، وإذا أدين شكر"** (نشنش، 2010 ، ص 169).

4.1 - تيرتوليانوس بين الدفاع عن وحدة الكنيسة الإفريقية والانشقاق:

تشير المؤلفات التي كتبها تيرتوليانوس منذ اهتدائه إلى المسيحية بداية من سنة 197م خاصة كتابه "الدفاع عن المسيحية" إلى حماسه ورغبته الشديدة في الدفاع عن هذه الديانة ووحدة الكنيسة ومريديها بكل ما أتيح له من وسيلة (قاطر، 2024، ص 32) ، وفي هذا الصدد قال" **الحسد من الأسقفية هو أم جميع الانقسامات"** (رحمة، 1993 ص 95)"وبقي وفيا لدينه إلى آخر نفس من حياته،" **رغم المفارقات التي أبعدته عن الكنيسة الكاثوليكية، ولكنها لم تبعده عن المسيح، الإله الحقيقي الذي من أجله كل شيء حق، حتى الشهادة، "شهادة الدم"** (رحمة،1993،ص 58). نلاحظ من خلال هذا الرأي أن هناك سوء تفاهم وخلاف بين الطرفين (تيرتوليانوس والكنيسة الكاثوليكية) . تيرتليانوس الذي ناضل ودافع عن كنيسة المسيح ووحدتها وحارب الانقسامات التي تهدد وحدة المسيحيين بقوله: **"الحسد من الأسقفية هو أم جميع الانقسامات"** عبارة قالها قبل انضمامه إلى المونتانية بمدة زمنية قصيرة، ليلتحق بهذه الطائفة التي تبنى أفكارها وبالتالي ينشق عن الكنيسة الكاثوليكية (رحمة، 1993 ص 95) ، وينقلب على إخوانه بالأمس، مهددا إياهم بالأسلحة التي كان يستعملها لنصرة قضيتهم، وأصبح يشهر بالجبناء الذين كانوا يستسلمون بسهولة للاضطهاد (قاطر، 2024 ، ص 32).

يمتاز تيرتوليانوس بالتشدد في طبعه، كان ضد بعض تصرفات رجال الدين الكنيسة الكاثوليكية الذين وصفهم بعدم الانضباط، وتجاوزهم حدودهم في الحكم في بعض المسائل، مثل السماح بدخول وقبول الخطاة داخل الكنيسة التي يصفها بالعذراء (vergo) وعروس المسيح (sponsa Christi)، كما وصف الكنيسة في كتابه وشاح العذاري**"فنحن كنيسة واحدة"**(تيرتيليانوس الإفريقي،2017، ص36) .

وهذه الأسباب التي دفعته ليدخل في خلاف مع البابا كاليستوس الأول (117-222م) (Calistus1) أسقف كنيسة روما الذي تهجم عليه بعدما سمح لجماعة من المرتدين بالدخول إلى الكنيسة والعودة إلى أحضانها (، (جوليان، 1983، ص 262) ، من هنا نفهم أفكار تيرتوليانوس التي تتميز بالشدة والزهد والتقشف (أسد، 1990، ص 273). لم تنسى الكنيسة الكاثوليكية الجهود التي بذلها تيرتوليانوس في محاربة الهراطقة في قرطاجة، وقد أثنى أوبطا الميلي على المجهودات التي بذلها تيرتوليانوس ويذكرنا كيف وقف في وجه الطائفتين الماركيونية والفالونتينية (Frend, 1952) قبل أن يتخذ القرار المثير للجدل بين الأوساط اللاهوتية

وهو التحاقه بالطائفة المونتانية التي وجد فيها تقارب وتقاسم الأفكار معه حول العديد من المسائل الدينية والسلوكيات الأخلاقية. ومن دون ذكر الأسباب التي دفعته إلى ذلك (قاطر، 2024 ، ص 33).

2-الأسقف دوناتوس:

إذا كان القرن الثاني ميلادي قد شهد صياغة الهوية الفكرية واللاهوتية للمسيحية الإفريقية فإن القرن الرابع فقد مثل مرحلة الانتقال نحو الممارية الواقعية والمواجهة الميدانية، ولم تعد الكنيسة المسيحية في شمال إفريقيا مجرد جدال فكري ضد الوثنية، بل تحولت لإيديولوجية نضالية تعبر عن الخصوصية المحلية والرفض القاطع للهيمنة الرومانية المركزية. في قلب هذا التحول التاريخي برز الأسقف دوناتوس كقائد روحي وزعيم وطني نجح في تنظيم كنيسة مستقلة أربكت حسابات الإمبراطورية الرومانية والكنيسة الرسمية في روما على حد سواء.

1-2 لمحة حول حياة الأسقف دوناتوس :

يعتبر القديس دوناتوس« Donatus» من المؤسسين الأوائل للكنيسة الدوناتية في شمال إفريقيا، خدم كنيسته مدة أربعين سنة،يرجح أنه ولد سنة 270م (شنيتي،1984، ص 285 من أبوين محليين يمارسان الزراعة، وقد إحتك بالمبشرين المسيحيين منذ صغره، يتقن اللغة اللاتينية والبونية، وبالنسبة لتاريخ وفاته فهو مجهول أيضا، ولكن حسب المؤرخ ماندوز«Mandouze» فانه توفي في المنفي في اسبانيا سنة 355م (Mandouze, 1984, P102) بعد معاقبته بقرارات مجمع قرطاجة الذي انعقد سنة 348م برئاسة الأسقف الكاثوليكي غراتوس «Gratus » في عهد الإمبراطور كونستانس الأول« Constan I»» . (Mandouze, 1984, P102) :

2-2 - الأسقف دوناتوس ودوره في نشروتطوير مبادئ الكنيسة الدوناتية في شمال إفريقيا:

ذاع اسم الأسقف دوناتوس واسم كنسيته في شمال إفريقيا وخارجها خاصة في روما واسبانيا، وهذا ما تؤكده إحصائيات سنة 311م التي تتحدث عن انتقال70 أسقفا(Augustin saint,1869 , LXXXVI.).برئاسة جثليق نوميديا سكندوس التيجيسي « Secundus de Tigisi » (عولمي،2022، ص 100).شقوا طريقهم إلى قرطاجة لانتخاب أسقفا جديدا ليدير كنيسة هذه المدينة بعدما تم رفض سيامة الأسقف سيسليان خليفة الأسقف مونصوريوس (Toutain,1922,PP153/163). اجتمع الجميع في منزل امرأة تدعى لوسيلا« Lucilla » ذات النفوذ القوي والتي تكون على عداوة مع سيسليانوس، ووقع الاختيار على شخصية ماجورانوس(Optat Saint, T1, 15.1 ; 1995) ، وهكذا تكرس الانشقاق داخل الكنيسة الإفريقية رسميا منذ سنة311 م، وقد اتهم القديس أوبطا الميلي هذه المرأة بالوقوف وراء الانشقاق الذي مزق الكنيسة الإفريقية في هذه الفترة (Optat ,1995,T1, 16.1)، لم تمر مدة طويلة حتى توفي الأسقف ماجورانوس والذي خلف الأسقف دوناتوس الذي تربع على عرش الكنيسة الدوناتية إلى غاية وفاته في المنفى سنة 355م (Mandouze, 1984, P102) وخلال هذه الفترة عمل الأسقف دوناتوس على توسيع القاعدة البشرية والجغرافية للكنيسة الدوناتية، وأصبحت منتشرة بقوة في جميع تراب شمال إفريقيا

(شنيتي، 1984، ص 97)، فبعدما تم إحصاء 70 أسقفا سنة 311م، تضاعف هذا العدد ليصل في سنة 330 أكثر من 270 أسقفا انتشروا عبر المقاطعات الإفريقية (Hadot, Meslin, 1957, PP143/148) وهذا الانتشار أرعب خصومهم الكاثوليك الذين لا يتريثون كلما سمحت لهم الفرصة في رفع الشكاوي ضدهم لدى السلطة السياسية من أجل التدخل لقمعهم بشتى الوسائل، وبالتالي توسيع الهوة بين الكنيستين المتخاصمتين الدوناتية والكاثوليكية.

تبنى الأسقف دوناتوس مبادئ صارمة أهمها مبدأ إعادة التعميد المسيحيين حتى يميز كنيسته عن الكنيسة الكاثوليكية التي اعتبروها بكنيسة الشياطين «L'Eglise des diables»بينما نعتوا أنفسهم بأبناء القديسين (قاطر، 2024، ص 81) «L'Eglise des saints» وقد تم إعادة تعميد الكثير من المسيحيين الذين استسلموا وتخلوا عن دينهم أثناء فترة الاضطهاد الروماني وهذا من اجل الفصل بين الطاهر والمدنس من جهة ، ومن جهة أخري تطبيقا للتعليمات التي خرج بها المشاركون في مجمع سرتا الأسقفي الذي انعقد بتاريخ 5 مارس 305م من أجل سيامة أسقفا جديدا للمدينة بعد وفاة الأسقف "بولوس"« Paulus » رافضين أية وحدة مع الخونة والمتخاذلين (عمران،2010، ص 130) ، ومن بين هذه التعليمات،" **إن كل من اتحد مع الخونة والمتخاذلين، لن يكون في صفنا ، ولن يشاطرنا العيش في ملك السموات**" (عولي، 2022، ص 75) ، معتبرين أن الكنيسة يجب أن تظل "**كنيسة الأطهار**". وهذا ما أثار حفيظة أعلام الكنيسة الكاثوليكية الذين اعتبروا أن ما يقوم به الدوناتيون تصرف جنوني لا يقبله العقل، واعتبروا أن الضعف ظاهرة طبيعية والإنسان معرض لارتكاب الأخطاء، واستندوا إلى القول القائل **"الذي لا يخطئ هو الذي أنجبه الله"** (منصوري،2002، ص-ص 31-48). كما اتخذوا من مبدأ الاستشهاد ركيزة أساسية لمواجهة قمع السلطة السياسية المتحالفة مع الكنيسة الكاثوليكية.

3-2 الأسقف دوناتوس وصراعه مع الكنيسة الكاثوليكية والسلطة الرومانية:

تجسد كنيسة الدوناتية فصلا هاما من فصول الصراع الديني والسياسي قاده الأسقف دوناتوس رفقة أتباعه رافضين طريقة تعيين الأسقف سيسليانوس على رأس كنيسة قرطاج. تعد هذه القضية السبب المباشر لتأسيس كنيسة موازية وتكريس الانشقاق الديني في الكنيسة الإفريقية بداية من سنة 311م. ورغم انتخاب أسقف جديد لكنيسة قرطاج التي أصبحت برأسين، إلا أن دوناس لم يقطع الأمل في تسوية القضية وعلق أمال كبيرة على الإمبراطور قسطنطين « Constantin » لتسوية هذه الأزمة ،وبالتالي رفع إليه حزب دوناتوس التماسا يتضمن مجموعة من المطالب موجهة إلى البلاط الإمبراطوري " **نرفع إليك التماسا ياقسطنطين ، أيها الإمبراطور الصالح ، لأنك من نسل بار و ابوك هو الوحيد من بين الأباطرة الذين لم يشن الاضطهاد ، وحمى بلاد الغال من ذلك المشروع الإجرامي ، وبالفعل هناك صراع قائم في إفريقيا بيننا وبين الأساقفة الآخرين، إننا نطلب من تقواك أن تمنحنا قضاه من بلاد الغال : قدم من طرف الأساقفة لوكيانوس« Lucianus» ، دينوس« Dignus » ، ناسوتيوس« Nasutius » ، كابيتو« Capito » ، فيدنتيوس« Fidentius » ، وأساقفة آخرين من حزب دونات**" (Optat Saint,1995, T1, 21.1). لقيت هذه الدعوة استجابة الإمبراطور حيث أمر أسقف كنيسة

روما البابا ملتياد بالأشراف على المحاكمة لتي أنصفت الأسقف سيسبيلتنوس في ثلاثة مناسبات في مجمع روما الذي انعقد بتاريخ 313م، مجمع آرل سنة 314م والأحكام التي أصدرها الإمبراطور قسطنطين في 16 أكتوبر 316م، الذي تم بموجلها تبرئة سيسليانوس وآدانى الكنيسة الدوناتية وتجريدها من جميع ممتلكاتها. وهكذا تكرست القطيعة بين الكنيسة الدوناتية والكنيسة الكاثوليكية المتحالفة مع السلطة الزمنية (عولمي، 2022، ص 102). وتأكد دونا توس انحياز إمبراطور قسطنطين إلى الكنيسة الكاتوليكية وهذا ما تعكسه الامتيازات التي أغدق بها رجال الدين الكاثوليك.

4-2 مؤلفات الأسقف دوناتوس:

ان دراسة الإنتاج الفكري للأدباء الأفارقة ليس بالأمر السهل بسبب إتلاف أعمالهم بقصد أو من دون قصد،وما وصل كان عن طريق خصومهم ، وهذا ما نلتمسه في الدراسات التي تطرقت للبحث في سيرتهم أمثال دراسات المؤرخ مونصو بول(Monceaux, Paul) الذي أولى اهتماما كبيرا لرواد الأدب اللاتيني في إفريقيا في موسوعته "تاريخ شمال إفريقيا التي جاءت في سبعة أجزاء حيث انصبت أبحاثه بصفة خاصة على الأدب الدوناتي، الذي يكاد مجهولا نوعا ما في النقد المعاصر، رغم غزارته و شهرته، خلال القرنين الرابع والخامس الميلاديين، ويرى في اللغة اللاتينية المكتوبة من طرف الأدباء الأفارقة،أنها ذات ميزة خاصة، وذات صيغ فريدة من نوعها، تكاد تجعل منها لغة خاصة بإفريقيا، وقد برز في الأدب اللاتيني الإفريقي أسماء لامعة، من ضمنهم الأديب ماركوس كورنليوس فرونتو(Marcus Cornelius Fronto) من مدينة سيرتا، ولوكيوس أبوليوس (Lucius Apuleius)، ابن مدينة مادور (مداوروش)، الذي كان أحد أعمدة الأدب اللاتيني، اللاهوتي تيرتوليانوس ودوناتوس (Donatus)، الملقب بدوناتوس الكبير وغيرهم. وبالحديث عن دوناتوس فان لهذا الأسقف عدة أعمال لكنها أتلفت (اويحي، 2021، ص-ص 497-520،ص498). وقد رجّح المؤرخون أنه قد اطلع على المؤلفات اللاهوتية للمفكر"بيربيتوا"(Perpetua)، كما درس أيضا كتاب المسيحي "بونتيس(Pontius)" (هومر و سعودي، د س ن، ص 42) مما جعل منه فقيها بالمسيحية، وقد أصبح أسقفا وعمره لا يتعدى ثلاثين (30) عاما (عمران،2010، ص 130) ، يتمحور موضوع كتاباته حول "الروح القدس" كان محفوفا بالاحترام كأنه كتاب مقدس(جوليان،1983، ص 258).

ليس من السهل استرجاع صورة النصوص ومؤلفات الأسقف دوناتوس التي كانت غالبا مشتتة ولا تعرف أحيانا لا من خلال اقتباسات كتاب لاحقين وخصومه (Fliche et Monceaux,T24, 1922, p164) ،وما وصل إلينا هو ما كتبه المسئولون الرسميون من الأباطرة أو من المؤيدين للفريق الكاثوليكي، إلى جانب كتابات أعلام الكنيسة الكاثوليكية على رأسهم القديس اوبطا الميلي والقديس أوغسطين(قاطر، 2024، ص 135)، كان دائما متشددا على طهارة الكنيسة ورفض الخونة الذين سلموا الكتب المقدسة أثناء الاضطهاد الروماني (Monceaux, 1909 ,p164) .

من أشهر مؤلفاته كتابا عن "الروح القدس" «le saint esprit ou sur la trinité» والذي ضاع للأسف وهو كتاب يميل إلى الأريوسية، ورسالة حول التعميد «la lettre sur le baptême»كتبها في حوالي

336م والتي وصلت عبر أوغسطين الذي رد على رسالتي دونات «contre la lettre de l'hérétique Donatومسألة التعميد(Monceaux, 1920 ,pp-120-124) .

5-2 المحطات التاريخية الكبرى في حياة الأسقف دوناتوس:

-30 سبتمبر 313يسافر إلى ايطاليا لحضور أشغال الهيئة الأسقفية الايطالية الغالية التي ترأسها بابا كنيسة روما الأسقف ملتياد بطلب من الإمبراطور قسطنطين للفصل في الشكوى التي رفعت ضد الأسقف سيسليان.

-2 أكتوبر 313 اجتمعت الأطراف الحاضرة في الجلسة رقم 3 وأدين دوناتوس ووصف بأنه "أصل كل شر يصيب الكنيسة"(Mandouze,1982 ; pp 98-104) «totius mali principem».

في سنة 336م أو 337م أرسل دوناتوس رسالة إلى غريغوريوس والي إفريقيا في تلك الفترة وصفه فيها بأنه "عاز مجلس الشيوخ ومخزي الولاة".

-336م الإشراف على مجمع ضم 270 أسقفا مما يؤكد على التفاف الأفارقة حول هذه الكنيسة التي تحولت حركة اجتماعية سياسية أخذت انشغالاتهم بمحمل الجد.

-بين 340 و347 نظم لمقاومة وإجهاض محاولة الإمبراطور كونستانس لشراء ذمم الدوناتيين خاصة الفقراء منهم يعرض عليهم مساعدات مالية ومادية في شكل صدقات وكأن المسالة تتعلق بالفقر وليس بالسيادة.

-347 الوقوف في وجه بولس ومكاريوس ووقف المواجهات التي كانت السبب الرئيس لنفى دوناتوس وتجريد الكنيسة الدوناتية من جميع الممتلكات.

-355 نهاية اسطورة اسمها الأسقف دوناتوس في المنفى ويخلفه الأسقف بارمنيانوس.

الخاتمة:

ونهاية هذه الدراسة توصلنا إلى بعض النتائج أهمها:

1. لم يكن ترتوليانوس مجرد مدافع عن العقيدة، بل كان مهندسا فكريا ساهم في صياغة الهوية المسيحية في شمال إفريقيا والعالم الغربي الروماني.
2. استطاع أن يحول الدفاع عن المسيحية من مجرد استجداء للتسامح إلى حوار فكري وقانوني يفند أسس الوثنية ويرد على سياسة الإمبراطورية الجائرة، وهذا بفضل خلفيته القانونية العميقة.
3. تتجلى عبقرية تيرتوليانوس في قدرته على تطويع اللغة اللاتينية لخدمة اللاهوت حيث وضع اللبنات الأولى لمفاهيم "الثالوث" و"الجوهر الواحد " وهي الركائز التي اعتمدت عليها المجامع المسكونية اللاحقة.

4. إن دراسة فكر تيرتوليانوس لا يفتح فقط الأفاق لفهم الجذور العميقة للمسيحية الإفريقية، بل أيضا فهم تطوير الفكر الديني العالمي، مما يجعله شخصية محورية لا يمكن تجاوزها عند التاريخ للتحولات الدينية والاجتماعية في العصور القديمة.
5. جسدت الكنيسة الدوناتية فكرة رفض المساومة على حساب العقيدة حيث اعتبر دوناتوس أن صحة الأسرار المقدسة مرتبطة بمن يمنحها، مما أدى إلى قطيعة فكرية ومؤسساتية مع الكنيسة الكاثوليكية.
6. لم تكن الدوناتية حركة لاهوتية فحسب بل ارتبطت بمواقف سياسية معارضة للسلطة الرومانية وظهر ذلك جليا في مواقف تيرتوليانوس السابقة التي مهدت لرفض تدخل الأباطرة في الشؤون الدينية، مما جعل الكنيسة الإفريقية مثالا للصمود والمواجهة.
7. رغم محاولات الإقصاء والنفي التي تعرض لها الأسقف دوناتوس إلا أن كنيسته ظلت فاعلة ومؤثرة لأكثر من قرن من الزمن، مما يثبت أن الجذور الفكرية لشمال إفريقيا كانت تفضل الاستقلالية والخصوصية على التبعية المطلقة للإمبراطورية الرومانية.

قائمة المصادر والمراجع:

قائمة المراجع باللغة العربية:

- الأب جورج رحمة .(1993). **ترتليانوس القرطاجي. موسوعة عظماء المسيحية في التاريخ**.لبنان. منشورات المركز الرعوي للأبحاث والدراسات.
- الربيع عولي.(2022). **الصراع الدوناتي الكاثوليكي في الشمال الإفريقي القديم. دراسة في الأصول والآثار (311-411م)**. الجزائر. دار الإحسان للنشر والتوزيع.
- إبراهيم عبد السيد. (1987). **البدع والهرطقات خلال العشرين قرنا: الجزء الأول خلال القرون العشرة الأولى**. لبنان. مطبعة الانبار وبست الأوست العباسية.
- تيرتيليانوس الافريقي. (2017). **ضد بركسياس او عن الثالوث القدوس: ضد هورموجانس أو في عدم أزلية المادة**، تر: أمجد رفعت رشدي .مصر. سلسلة مدرسة الإسكندرية للدراسات المسيحية.
- رستم أسد.(1990) . **آباء الكنيسة** .ط2. لبنان. منشورات المكتبة البوليسية.
- شارل اندري جوليان.(1983). **تاريخ شمال إفريقيا تونس، الجزائر، المغرب الأقصى من البدء إلى الفتح الإسلامي 647م**. ط4. تع: محمد مزالي. البشير بن سلامة. تونس. الدار التونسية للنشر.
- شارل جنيبير.(1993). **المسيحية: نشأتها وتطورها**، تر: عبد الحليم محمود. بيروت، لبنان. منشورات المكتبة العصرية.
- عبد السلام بن ميس.(2010). **مظاهر الفكر العقلاني في الثقافة الأمازيغية القديمة (دراسة في تاريخ العلوم الصورية وتطبيقاتها)** الطبعة الثانية، الرباط. المغرب. منشورات إيدكل.

- محمد البشير شنيتي.(1984). **التغيرات الاقتصادية والاجتماعية في المغرب أثناء الاحتلال الروماني** . ط1 . الجزائر. المؤسسة الوطنية للكتاب.
- محمد هومر، عماد سعودي. (د.س.ن). **دوناتوس الثائر النوميدي الذي أنهى وجود الكاثوليكية في إفريقيا.** مراجعة مولدي عاشور، د.د.ن.

- **قائمة المراجع باللغة الأجنبية:**

- Archibald Bower.(1758). **The History of the Popes**.v1. London. ed, Fondation of the see of Rome.
- Augustin Saint.(1969). **Les Hérésies LXXXVI. trad. Aubert l'abbé**. France. Ed L Guérin et cie éditeurs.
- Monceaux Paul. (1920). **Description de l'Afrique du Nord, histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion Arabe**, T5, Saint Optât et les premiers écrivains donatistes. Paris. édition Ernest Leroux.
- Monceaux Paul.(1912).**Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines (jusqu'à l'invasion arabe**, T4, (LE DONATISME). Paris. éditeur Ernest Leroux .
- Optat de Milev .(1995). **Traités contre les donatistes**. Tome 1(Livre 1 et 2), Tra : Mireille Labrousse . Paris . les éditions ERCF.
- W.H.C. Frend (1952).**The Donatist Church-A Mouvement of Protest In Roman North Africa** . London. Oxford University Press, Amen House, London.

- **قائمة مقالات باللغة العربية:**

- تيرتوليانوس. (د س ن): **المنافخة أو دفاع عن التوحيد**. ترجمة عمار الجلاصي. /Acadimia.edu/43400418 .
- خديجة منصوري. (2002 سبتمبر). **الصراع الدوناتي الكاثوليكي** . جامعة قسنطينة. مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية.
- سعيدة اويحي. (2021). **بتيليانوس الأسقف الدوناتي**. الأردن. مجلة الدولية أبحاث في العلوم التربوية والإنسانية والآداب واللغات.

- **قائمة مقالات باللغة الاجنبية:**

- Fliche Augustin.(1922), **Paul Monceaux, *Histoire littéraire de l'Afrique chrétienne depuis les origines jusqu'à l'invasion arabe. Saint Optât et les premiers écrivains donatistes*. Tome 24**, 1922, n°1. pp. 72-74. In : *Revue des Études Anciennes*.
- Hadot Pierre.(1957). **Meslin Michel. A propos du Donatisme**. n°4. pp. 143-148.p144 . In: *Archives de sociologie des religions*,. https://doi.org/10.3406/assr.1957.1684
- Mandouze André .(1982). **Prosopographie chrétienne du Bas-Empire, T.1.Prosopographie de l'Afrique chrétienne (303-553),** Paris. Editions du Centre National de la Recherche

Scientifique,1982. pp.513-523. (Études d'antiquités africaines),15, quai, Anatole France -75700- Paris. pp,796-800.

- Mandouze André. (1982). **Le mystère Donat**. pp. 98-104.France. In: *Bulletin de la Société Nationale des Antiquaires de France*. https://doi.org/10.3406/bsnaf.1984.8920
- Monceaux Paul.(avril,1909). Parmenianus**, primat donatiste de Carthage**. Deuxième et dernier article. 7e année. pp. 157-169. In: *Journal des savants*.
- Pottier Bruno.(2008). **Les circoncellions. Un mouvement ascétique itinérant dans l'Afrique du Nord des IVe et Ve siècles**. N°44. pp. 43-107. In : *Antiquités africaines*.
- Saxer Victor.(2003). **L'Église et l'empire chrétien au IVe siècle. La difficile séparation des compétences devant les problèmes doctrinaux et ecclésiologiques. tome 77**, fascicule 1, 2003. pp. 11-30. In: *Revue des Sciences Religieuses*. https://doi.org/10.3406/rscir.2003.3655
- Toutain Jules.(1922). **L'Afrique chrétienne avant Saint Augustin. Deuxième et dernier article**. 20e année. pp. 153-163.In: *Journal des savants*. www.persee.fr/doc/jds_0021-8103_1922_num_20_4_5290

- **قائمة رسائل دوكتوراة باللغة العربية:**
- حسينة حلاق.(2024). **النخبة الإفريقية خلال الفترة الرومانية- العصر الجمهوري**-دكتوراه في التاريخ القديم. جامعة قسنطينة2 .
- عبد الحميد عمران. (2010). **الديانة المسيحية في المغرب القديم النشأة والتطور-(180-430م)**. دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة قسنطينة2.
- وزنة قاطر. (2024). **الانشقاق الدوناتي الدوناتي و انعكاساته على الكنيسة الإفريقية(305-430م)**، دكتوراه في التاريخ القديم، جامعة الجزائر2.
- **قائمة رسائل الماجستير باللغة العربية:**
- حميدة، نشنش .(2009). **رجال الدين في المغرب القديم: من ظهور المسيحية في نهاية القرن الثاني ميلادي إلى غاية السلام المسيحي في 313م من خلال ترتليانوس وكبريانوس** .ماجستير في التاريخ القديم. جامعة الجزائر2.
- خديجة منصوري. (1987). **الدوناتية وثورات القرن الرابع في شمال إفريقيا**. رسالة ماجيستير في التاريخ القديم. جامعة وهران 1.